

الزهراء عليها السلام كوثر رسول الله ﷺ

على من عابه بعدم الأولاد. فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون على مرّ الزمان. فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يُعَبِّأُ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والرضا عليهم السلام، والنفس الزكية وأمثالهم»^(٢).

ويعني هذا أنّ الله تعالى ردّ موقف الشانئ ومقولته بأنّ النبي ﷺ، كيف يكون هو الأبتَر، وقد أعطاه فاطمة، التي كان من ذريتها هؤلاء النجوم التي تهتدي بها الأمم؟

الكوثر علماء الأمة:

وقد ذكر الفخر الرازي أنّ من مصاديق الكوثر، «علماء أمة النبي ﷺ، وهو لعمرى الخير الكثير، لأنهم كأنبياء بني إسرائيل، وهم يحيون ذكر رسول الله ﷺ وينشرون آثار دينه وأعلام شرعه»^(٤).

وقد ذكرت من الأحاديث عنه ﷺ أنّ «علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل»^(٥). وهم أفضل من أنبياء بني

كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتَر. وكان النبي ﷺ قد رجع لتوّه من دفن آخر أبنائه الذكور، بعد أن توفي من قبل ولداه الآخرين، فأصبح ولا أولاد ذكور له^(١).

وأولاده ﷺ من الذكور هم: القاسم والطاهر من أم المؤمنين خديجة، وإبراهيم وهو من مارية القبطية. والأبتَر يعني: المقطوع الخير، أو المقطوع الذرية.

فكان قول العاص بن وائل قاسياً على قلب النبي ﷺ، فزاد في حزنه. بعد هذه الحادثة، أنزل الله سبحانه سورة الكوثر، فكان فيها ردٌّ صارخ لتلك المقولة، وتسليّة لفؤاد النبي ﷺ. وكانت هذه السورة بشارة عظيمة نزلت على قلب المصطفى ﷺ، حيث إنّ الكوثر التي هي على وزن فوعل وهو الخير الكثير.

الكوثر هو فاطمة عليها السلام:

وردت للكوثر معاني كثيرة وافها بعضهم إلى «خمسة عشر معنى»، وكلها يجتمع على كثرة الخير»^(٢).

وقد اعتبر الفخر الرازي أنّ من مصاديق الكوثر أولاد النبي ﷺ. إذ إنّ «هذه السورة إنما نزلت ردّاً

محاور الموضوع الرئيسية:

١. سلوى النبي.
٢. الكوثر هو فاطمة.
٣. الكوثر علماء الأمة.
٤. أبناء النبي أولاد فاطمة.
٥. فاطمة شفيعة المحبين.

الهدف:

بيان أنّ الكوثر في سورة الكوثر هو فاطمة عليها السلام، وأنّ ذرية رسول الله ﷺ هم أبنائها، وكذلك بيان بعض شأنها يوم القيامة.

تصدير الموضوع:

عن فاطمة الكبرى قالت: قال رسول الله ﷺ «كل بني أمّ ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوهم وعصبتهم»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٢٨، ح ١.

الزهراء عليها السلام سلوى النبي ﷺ

ذكر في مجمع البيان: أنّ العاص بن وائل رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد، فالتقيا عند باب بني سهم وتحدّثا، وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد. فلما دخل العاص، قيل له: من الذي

(٣) التفسير الكبير/المجلد ١١، ص ٣١٢.

(٤) التفسير الكبير/ج ١١، ص ٣١٢.

(٥) تحرير الأحكام الشرعية للعلامة العلي/

ج ٢٨، عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الإحسائي، ج ٤، ص ٦٤٠.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، ج ١٠، ص ٥٤٩.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي/المجلد ١١، ص ٣٠٧-٣٢٢.

إليه يصعد الكلم الطيب

والحسين أولى أَنْ يُنسبَا إلى رسول الله ﷺ مع قربهما منه^(٦).

فاطمة شفيعة المحبين:

ذكر الفخر الرازي أَنَّ من مصاديق الكوثر «المقام المحمود الذي هو الشفاعة». فقال في الدنيا: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»^(٧)، وقال في الآخرة: «شفاعتي لأهل الكباير من أمتي»^(٨).

وقد ورد في الحديث عن الرضا عن آبائه عليه السلام جميعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضِبُ لَغْضَبِ فَاطِمَةَ، وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»^(٩).

في حديث عن ابن عباس عن أمير المؤمنين، عن رسول الله ﷺ في حديث طويل عن حال فاطمة يوم القيامة: ... ثم يقول جبرائيل عليه السلام: يا فاطمة، سلي حاجتك! فتقولين: يا رب، شيعتي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا رب، شيعتي، فغفرت لهم.

فتقولين: يا رب، شيعتي. فيقول الله: انطلقني، فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة، فعند ذلك يودّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين...^(١٠).

(٦) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٢٣.

(٨) التفسير الكبير، ج ١١، ص ٣١٦.

(٩) البحار، ج ٤٣، ص ١٩، ح ٣ نقلًا عن

الخصال.

(١٠) تفسير فرات الكوفي، ج ٢، ص ٤٤٥-٤٤٦، ح ٥٨٧.

هذان إمامان، قاما أو قعدا. فضلاً عن هذا الحديث، هناك أحاديث كثيرة تؤكد هذه الحقيقة.

فعنى فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى قالت: «قال رسول الله ﷺ: كل بني أمّ ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوهم وعصبتهم»^(١١).

وذكر الشعبي أَنَّ الحجاج بن يوسف أشخص سعيد بن جبير وكبّل يديه ورجليه وأحضر السيف والنطع، وقال له: إِنَّ هذا الشيخ يقول إِنَّ الحسن والحسين كانا ابني رسول الله. ليأتيني بحجة من القرآن وإلا لأضربن عنقه.

فقال سعيد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»^(١٢).

ثم سكت وقال للحجاج: اقرأ ما بعده. فقرأ: «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى». فقال سعيد: كيف يليق ها هنا عيسى؟ قال: إنه كان من ذريته.

قال: إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب، بل كان ابن ابنته فنُسب إليه مع بعده، فالحسن

إسرائيل، لأنهم أعلم بالشرعية الكاملة والخاتمة، ولكن لا بدَّ أَنْ يكون هذا العلم هو الفهم الصحيح للشرعية والعالم وما يصلح به العالم. ولا يحمل هذا العلم سوى الأئمة من ولد فاطمة صلوات الله عليهم.

ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ العلم الذي هبط به آدم وجميع (ما فضلت به) النبيون إلى خاتم النبيين في عترة محمد ﷺ»^(١٣).

وفي حديث عن الباقر صلوات الله عليه، لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة، قال: «شَرَفًا وَغَرَبًا، لَنْ تَجِدَا عِلْمًا صَحِيحًا إِلَّا شَيْئًا يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(١٤).

أبناء النبي أولاد فاطمة:

قد يقول قائل: إِنَّ الذرية من الأبناء الذكور ينتسبون إلى آبائهم وأحفادهم، أما الأبناء من الإناث، فإنهم ينتسبون إلى أبناء أزواجهن، أي آباء الأولاد لأمهاتهم.

فكيف نجعل من أولاد فاطمة عليه السلام وذريتها، أبناءً للنبي ﷺ، والحال أنها ابنته؟

ولكن النبي ﷺ ردّ على هذه المقولة في موارد كثيرة؛ فضلاً عن الحديث المشهور - بل المتواتر - عنه ﷺ: ولداي هذان - الحسن والحسين - وفي لفظ آخر: ابناي

(١١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٢٨، ح ١.

(١٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(١٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٥.

(١٤) الإرشاد للشيخ المفيد، ج ١، ص ٢٢٢.

(١٥) بحار الأنوار، للمجلسي، ج ٢، ص ٩٢، ح ٢٠.